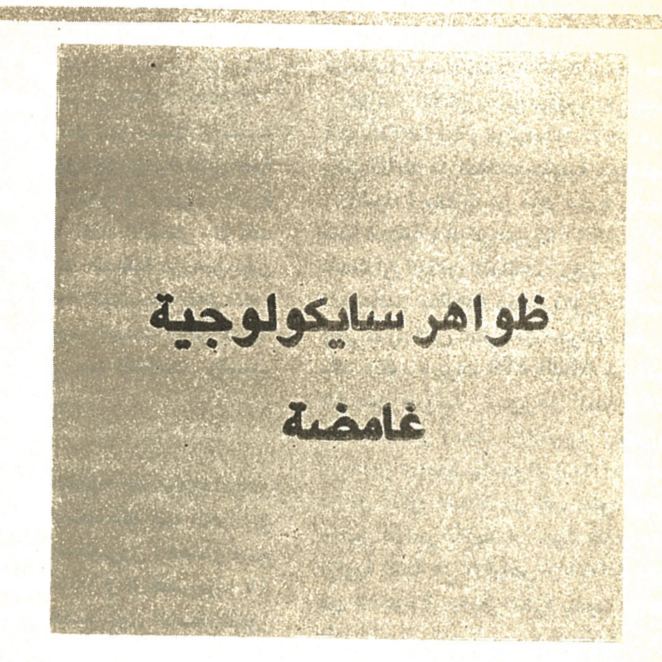




علم نفس الخوارق

■ الدكتور نوري جعفر ■

نشر الزميل الدكتور علي الوردي - وكان في عنفوان شبابه - كتابه الممتع « خوارق اللاشعور » وقد تحولت خوارق اللاشعور هذه في الوقت الحاضر الى مايمكن ان يسمى خوارق الشعور وذلك بتبلور فرع جديد - مازال واسعا وغامضا .

من فروع علم النفس يسمى : parapsychology في اللغة الانكليزية :- والقسم الاول من هذا الاسم : para مشتق من اللغة اليونانية القديمة ومعناه « الى جنب » او « بقرب » او « بمحاذاة » : اي ان علم النفس الجديد هذا - علم نفس الخوارق - يسير جنبا الى جنب مع علم النفس المعتاد لانه يدرس ظواهر خارقة لايرقى الى دراستها علم النفس المعتاد الذي يدرس الظواهر السايكولوجية المالوفة . وهذا ينبىء ان علم النفس الجديد هذا يدرس ظواهر خارقة وغامضة لايستطيع الانسان ان يدركها بتفكيره المعتاد وبحواسه المعروفة من جهة ويدرس ايضا الاثر الذي يتركه شخص في شخص او جسم اخر دون اداة مادية تصل بينهما .

وعلم النفس الجديد هذا يسمى احيانا بالانكليزية pasychotronics واحيانا : Bioin-formation واحيانا : Biointroscopy وهو يدرس ظواهر خارقة وغامضة متعددة منها مثلا : « قراءة الافكار » او « الاحساس بالخوارق » ولها اسماء متعددة بالانكليزية منها : telepathy و clairvoyance و dowsing و paradiagnosis و eoctrasensory perception وكلها ذات علاقة وثيقة بفرع جديد من فروع علم الطب يسمى para medicine يتم تشخيص بعض الامراض وعلاجها بواسطته بشكل غامض خارج اطار علم الطب المالوف : يعتبره كثير من الاطباء شعوذة او دجل على نسق ما يفعله المعنيون بالتنويم المغناطيسي .

... نفس الخوارق هذا نشأت في انكلترة عام ١٨٨٢ عندما تأسست جمعية

اتسع نطاقه بعد ذلك بنشوء جمعيات مماثلة في اقطار اوربية كثيرة : فتجاوز مجموعها مع مختبراتها في الوقت الحاضر زهاء (٢٤٠) ينتشر اغلبها في الولايات المتحدة .

هذا بالاضافة الى مراكز بحث مماثلة ملحقة ببعض الجامعات الامر الذي ادى قبل بضع سنوات الى نشوء رابطة علم نفس الخوارق الدولية التي مقرها في مدينة نيويورك :International و para psychological Association وفي عام ١٩٦٩ انضمت رابطة علم نفس الخوارق الامريكية الى اتحاد جمعيات تقدم العلوم الامريكية .

اما في الاتحاد السوفيتي فان الاهتمام بعلم نفس الخوارق بدأ في عام ١٩٢٨ بمبادرة من احد طلاب عالم الفسلجة بختربيف الامر الذي ادى بعد ذلك الى ان يناط البحث فيه بفئة من علماء الفسلجة في معهد الفسلجة التابع لجامعة لينينغراد . ثم اتسع نطاق تلك الدراسات فانتقلت ايضا الى جامعة موسكو عام ١٩٦٥ بمبادرة من جمعية بابوف العلمية والتكنولوجية للاتصالات الراديوية والكهربائية . ثم نشأ في عام ١٩٦٧ فرع خاص بعلم نفس الخوارق يسمى : Technical Para و Psychology و Biointroscopy تابع للجنة المركزية لجمعية العلوم والتكنولوجيا وصناعة الاجهزة .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان علم نفس الخوارق هذا اخذ يحاط بالسرية التامة في الاقطار المتقدمة وفي مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبخاصة ما يتعلق منه بالجوانب المرتبطة بالجوانب العسكرية ومحاولة التعرف (بطرق سايكولوجية خفية مباشرة) على مايجري من ابحاث ويتخذ من قرارات سرية للغاية وبالغة الاهمية ولهذا فان المرء نادرا ما يعثر على مايروي غليله من المعلومات الحديثة عن علم نفس الخوارق هذا في المجلات المتخصصة .

يلوح ان المعنيين بعلم نفس الخوارق كانوا يستخدمون في اول الامر وما زال بعضهم الى الوقت الحاضر - اساليب بدائية اقرب الى الشعوذة او الدجل في دراستهم الظواهر السايكولوجية الغامضة (الخوارق) التي اشرنا اليها الامر الذي جعل نتائج ابحاثهم واستنباطاتهم موضع شك . غير ان الكثيرين منهم واصلوا ابحاثهم مستفيدين من الرياضيات وعلم الفيزياء وعلم الدماغ ومن الاجهزة الالكترونية وتكنولوجيا الكومبيوترات (علم الحاسبات الالكترونية) . وقد حاولوا بالتعاون مع - علماء الدماغ - تفسير تلك الخوارق على اساس انها ناجمة عن الاشعاع الكهربائي المغناطيسي للدماغ . وقد تركزت ابحاثهم الاخيرة في المجالات المغناطيسية الكهربائية . ولهذا نجدهم يستخدمون مصطلحات شبيهة بمصطلحات علم الفيزياء الحديث منها : Bioplasma و Electrical aura Bio Potential وهذه كلها ممزوجة بمصطلحات علم النفس القديم المألوفة مثل « الايحاء غير اللفظي » و« الحدس » عن طريق « قراءة » فحوى « بطاقات خمس خاصة » معروفة باسم « بطاقات زينرا » Zener Cards مع تلمس حالات الفرد السايكولوجية وهذه كلها لم تثبت فاعليتها العلمية لحد الان وان كانت ذات فوائد محدودة نسبيا في علم النفس الفسلجي وعلم النفس التجريبي . ولهذا فان فئة من ابرز علماء النفس لاتثق بنتائج ابحاثهم تلك ويذهب بعض من تلك الفئة الى اتهامهم بالشعوذة او الدجل كما ان الكثيرين من علماء الفيزياء يقفون ايضا موقف الشك من نتائج تلك الابحاث لاستحالة البرهنة على موافقتها لاساليب البحث المختبري التجريبي : لان الظواهر الخارقة المدروسة لايمكن اعادتها للتأكد من صحتها : لكونها حوادث عابرة وفردية وغامضة وغير مستقرة .

يتضح اذن ان نتائج ابحاث المختصين بعلم نفس الخوارق مازالت موضع شك بنظر علماء النفس وعلماء الفيزياء على حد سواء . غير ان هذا لايسوغ بنظرنا الحيلولة دون استمرارها وابتداع اساليب علمية حديثة تساعد على الكشف عن مثل هذه الخوارق الخفية لحد الان لا التي يبلغ علم النفس المعاصر وعلماء الفيزياء الحديثة مستوى تفسيرها . فبعض تلك الخوارق التي يرويها بعض الناس الثقاة ربما يكون لها اساس معقول من الوجود المادي ولكنه خفي في الوقت الحاضر بفعل عدم كفاءة اساليب الكشف عنه من الناحية السايكولوجية وفي ضوء علم الفيزياء . ومن هذه الزاوية فان الدراسات العلمية الرصينة التي يجريها علماء الاحياء وعلماء الفيزياء في الوقت الحاضر في المجالات الفيزيائية المغناطيسية على الكائنات الحية في موضوع الاتصال البايولوجي (نقل المعلومات وتلقيها :- في الحشرات والحيوانات بما فيها الانسان) من الممكن ان تؤدي ثمارها العلمية اليانعة في مجال علم نفس الخوارق في المستقبل غير البعيد : عندئذ يتم الكشف عن الاسس الفيزيائية لكثير من الخوارق السايكولوجية ويتم عزلها عن الخزعبلات التي يرويها المشعوذون او الدجالون وينشرونها بين البسطاء والسذج من الناس لاغراض الابتزاز . وهذا لايتم على الوجه الافضل وفي المستقبل غير البعيد الا بالتعاون الوثيق بين علماء الاعصاب وعلم النفس الحديث « المستند اليها :Neuropsychology الذي يكشف عن دور الدماغ في حصول العمليات العقلية المعتادة والخارقة أو غير المألوفة » وعلم الرياضيات والفيزياء وعلم الاحياء : الفيزياء الحياتية وعلم الاحياء الجزيئي والرياضيات الحياتية .

والخلاصة : اننا في الوقت الحاضر وفي اطار المرحلة العلمية الراهنة رغم تقدمها المذهل - لانستطيع ان نثبت او ننفي حدوث بعض الظواهر السايكولوجية الخارقة التي يستعصي تفسيرها لان تقدم العلم سوف يكشف عما هو جدير بالدراسة منها وما ينجم عن ذلك من فتح افاق جديدة امام الانسان في المجالين العلمي النظري الاكاديمي الصرف ومن الناحية العلمية التطبيقية .